منذ بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر بدأت السلطة العثمانية تستعيد سيطرتها شيئا فشيئا على مراكز البلاد الاساسية · فبعد هزيمة ابراهيم باشا واندحار قواته من سورية الى مصر (١٨٤١) مرت البلاد بعقد كامل من الفوضى العامة ومن الهيمنة البدوية وذلك حتى عام ١٨٥١ ، حين شرعت السلطة العثمانية في اعادة ربط البلاد اداريا بالوحدات المجاورة في فلسطين والشام · وهكذا ربطت سنجق عجلون (الذي كان يضم نواحي الكورة ، بني جهمة ، السرو ، الوسطية ، بني عبيد . الكفارات ، جبل عجلون وجرش) بمتصرفية نابلس ، والرمثا وقراها بسنجق حوران ، واتبعت منطقة غور الاردن الشمالية بقائمقامية طبريا · وفيما بعد الحق سنجق عجلون برمته بمتصرفية حوران · اما قضاء البلقاء ومركزه السلط فقد تبع متصرفية نابلس من ١٨٨٢ وحتى١٩٠٥، ثم الحق بعد ذلك بمتصرفية الكرك · وكانت الاخيرة ، اي متصرفية الكرك الوحدة الادارية الاقل ارتباطا بالسلطة العثمانية المركزية قد استعيدت السيطرة عليها عام ١٨٩٤ ، بعد أن دخلتها حملة عسكرية طوعتها بدون قتال وربطت المتصرفية بوالي دمشق (٢٦) ·

رغم ان السلطات العثمانية استعادت سيطرتها على مراكز المناطق الادارية المختلفة من شرقي الاردن في النصف الثاني من القرن الماضي، الا ان هذه السيطرة لم تكن كاملة ابدا · واحيانا رمزية · فهي مقتصرة على بعض المدن والمراكز التي تواجدت فيها القوات العسكرية ، فيما كانت بقية المناطق تعاني من غياب الامن ومن السطو والغزو والاحتراب القبلي ، وحتى الصراع بين العشائر الفلاحية في القرى (٢٧) ، مع ذلك يمكن القول ان شيئا من الاستقرار والهيبة قد توفرت ومهدت السبيل للاستقرار الزراعي وللحد من الهيمنة المطلقة للقبائل البدوية · وفي هذه الفترة بالذات كانت القبائل البدوية الكبرى تسيطر على اراض زراعية خصبة ، وتشهد ميول زعمائها لاستثمار الارض والتحول الى اسياد اشباه اقطاعيين ، وكانت البداية المبكرة على ايدي شيوخ قبيلة العدوان،

---

(٢٦) حول التقسيم الاداري لشرقي الاردن في نهاية العهد العثماني راجع «تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، مصدر سابق ، · وحول اعادة ربط الكرك بالسلطة المركزية ، راجع مذكرات عودة القسوس ·

(٢٧) راجع «في ربوع الاردن» ، مصدر سابق · مواقع متعددة من الكتاب ·